# الاخلاق في الادب التوراتي

## قراءة في سفر اللاويين

ا.د انمار عبد الجبار جاسم
كلية الاثار جامعة القادسية

ا.م.د فكري جواد عبد
كلية الاثار/ جامعة الكوفة

**الملخص**:

تضمنت الديانات السماوية منها والوضعية على العديد من مبادئ الاخلاق، والديانة اليهودية لم تشذ عن هذا لاسيما وهي من أعرق وأقدم الديانات. فالتراث الديني اليهودي استطاع ان يضع القواعد والاسس للعلاقات الثلاث وهي علاقة الانسان بربه وعلاقة الانسان بنفسه وعلاقة الانسان بغيره. والعلاقة الأخيرة نظمتها العديد من مبادئ الاخلاق في المعاملات بين الناس.

لذا سيقوم بحثنا هذا على استعراض اهم مبادئ الاخلاق في الديانة اليهودية من خلال دراستها في اهم مصادر التراث الديني اليهودي وهو الادب التوراتي، والعروج على كتاب التلمود وتبيان الية التعامل مع مبادئ الاخلاق وعن اختلاف التنظير عن التطبيق في هذا الميدان.

قام البحث بشكل رئيس على كتاب التوراة الذي يعد اهم مصدر من مصادر الادب العبري القديم في مجال النثر وكذا التلمود وعلى جملة من المصادر العبرية والعربية التي اغنت البحث وقادت الى مجموعة من الاستنتاجات التي سنعرضها في نهايته.

## Ethics in biblical literature

## Reading in Leviticus

Abstract:

All religions, included many principles of ethics, The Judaism did not deviate from this, especially since it is one of the oldest religions. The Jewish religious heritage was able to lay down the rules and foundations for the three relationships, which are the relationship of a person to his god, the relationship of man to himself, and the relationship of man to others. The last relationship is organized by many principles of ethics in transactions between people

Therefore, the research will review the most important principles of ethics in Judaism through its study of the most important sources of Jewish religious heritage, which is biblical literature, and the Talmud book, and a mechanism for dealing with the principles of ethics and the difference in theorizing on the application in this field

The research was mainly based on the Torah Book, which is the most important source of ancient Hebrew literature in the field of prose, as well as the Talmud, and on a number of Hebrew and Arabic sources that enriched the research and led to a set of conclusions

## الاخلاق في الادب التوراتي- قراءة في سفر اللاويين

### الاخلاق لغة واصطلاحا:

الاخلاق هي جمع خلق بالضمتين يكون المراد منها الفطرة والسجية والطبع[١]. والدال على الاخلاق في اللغة الإنكليزية كلمة Moralsوهي مشتقة من الأصل اللاتيني Mores. ومن هنا نجد ان الخلق فيه تجسيد وتوصيف للصورة الباطنة للإنسان بكل معانيها المختصة بها سواء كانت الحسنة منها او السيئة. فالأخلاق منظومة كبيرة ومتكاملة تشتمل على الصفات الطبيعية التي فطر الانسان عليها وخلق بها، وكذلك السجايا التي اكتسبها الشخص في حياته نتيجة اختلاطه بمجتمعه واحتكاكه بأفراده، وهذه المنظومة كلها تنقسم الى ما هو نفسي باطني والى ما هو سلوكي وظاهري.

والأخلاق هيئة في النفس تصدر عنها الأفعال بيسر دون حاجة للرجوع الى الفكر والتأمل. وينقسم ما يصدر عنها الى قسمين اثنين:

١. الخلق الحسن: وهي مجموعة الأفعال المحمودة عقلا وشرعا.
٢. الخلق السيء: وهي مجموعة الأفعال القبيحة والمذمومة عقلا وشرعا.[٢]

ومصطلح الاخلاق يشتمل على مجموعة القيم الإنسانية التي تمثل مقاصد سامية يسعى لها الإنسان تحقيقا لمعان السعادة والخير للمجتمع. وقد جمع الباحثون في هذا الشأن هذه المقاصد بثلاثة او أربعة هي الخير والحق والجمال، ومن أضاف الوازع الديني لها ليكن هو القائد والموجه الذي يتحكم بعقل الانسان وعاطفته ليحقق المقاصد الثلاثة بالخير والحق والسعادة.[٣]

ويصطلح على علم الاخلاق بـ(Ethics) وهو العلم المختص بدراسة نظام السلوك البشري بحسب معايير الخير والشر.[٤] فهو يحدد ما يجب ان تكون عليه تصرفات الانسان وفق قواعد الخير والشر من خلال تحديد الأهداف وشرح الغايات من الأفعال التي ينبغي ان تصدر عن وعي وإدراك وقصد حتى يعتد بها ويعول على نتائجها.[٥] ووظيفة علم الاخلاق يمكن اجمالها بوضع الشروط التي يجب تواجدها في الإرادة البشرية وفي افعالها لكي تكون موضوعا لأحكامنا الأخلاقية عليها.[٦] إذا هذا العلم هو من العلوم المعيارية التي لا تكتفي بدراسة ما هو كائن بل تمتد الى البحث فيما يجب ان يكون. ودراسة علم الاخلاق ومبادئه دراسة مهمة تكبر أهميتها وتتعاظم كلما اشتد ابتعاد الناس عن القيم الفاضلة وكلما سادت الانحرافات التي تؤدي الى تؤزم العلاقة بين بني البشر الامر الذي يقود أحيانا الى انتشار الصراعات والحروب في بعض الأحيان كون أصحاب القرار في مختلف انحاء العالم قد تجاهلوا هذه المبادئ الفاضلة وتخلوا عنها وجعلوا ديدنهم التلاهث وراء المصالح الانية والانانية متجاهلين احتياجات غيرهم وحقوقهم المشروعة.

**الاخلاق في الفلسفة:**

اختلف الفلاسفة والمدارس الفلسفية في بيان ماهية الاخلاق ومصدرها وتمثل محور اختلافهم في مصدرها تمثل في عدم اتفاق المدارس الفلسفي على مصدر واحد للأخلاق وانما جملة من المصادر يمكن اجمالها بالآتي:

١. الضمير الإنساني بمشاعره وعواطفه.
٢. العقل بقدراته وحكمته.
٣. المجتمع المحيط بتأثيراته واعرافه.

٤. قيم اللذة والمنفعة.

٥. الدين بقواعده ومبادئه.

وان المتأمل في المصادر أعلاه سيجد انه من غير الممكن التسليم بان مصدرا واحدا هو المصدر الوحيد والمعتمد في ان تنبثق منه مبادئ الاخلاق فالضمير الإنساني الذي هو يمثل تلك القوة الخفية الداخلية التي توجه الانسان الى الخير وتبعده عن مسالك الشر الذي يحس الانسان بمنتهى الرضا إذا رضخ له وبالتأنيب والتوبيخ إذا خالفه، هو ليس بثابت وانما يتغير عمريا وكذلك بتغير الأمكنة والازمنة وهو عرضة للانفعالات وسيطرة العواطف لهذا لا يمكن التسليم بكونه المصدر الوحيد للأخلاق.

اما العقل البشري فلا يصلح لان يكون مصدرا وحيدا ورئيسا للأخلاق كونه يمر بمرحلة نمو وتطور لهذا لا يوجد ضابط لمعرفة اية فترة تصلح لاعتماده، كما لا يوجد من يحدد من يعتمد من العقول هل هي عقول الفلاسفة او عقول العلماء؟

اما المجتمع واعرافه فلا ينبغي ان يعتمد كمصدر لتحديد الاخلاق كون الأعراف متغيرة وغير ثابتة وتختلف من مجتمع لأخر ومن فترة زمنية لأخرى، فأعراف الشرق تختلف عن اعراف الغرب كما ان عادات سكان المدن مختلفة الى درجة ما عن عادات سكان الأرياف والقرى وهكذا.

لهذا لا يمكن الاعتداد بمصدر واحد يحدد ويضبط الاخلاق وانما لابد من اشراك جملة المصادر هذه لتكون أداة التحديد والضبط لكي يكون المحدد دقيقا ومانعا.

وللفلسفة والفلاسفة مذاهب شتى في التعريف بالأخلاق وبيان منشأها فالفلاسفة اليونانية لاسيما ابيقورس (٣٤١- ٢٧٠ ق.م) يرون ان غاية الحياة عند البشر هي بلوغ اللذة التي تحقق السعادة لهم، ودور الاخلاق يكمن في اعمال العقل وتحكيمه للمفاضلة بين اللذات التي لا يمكن جمعها كلها وانما انقاء بعضها لتحقيق السعادة الجماعية.

لقد بنى السفسطائيون وزعيمهم بروتاجوراس نظريتهم للمعرفة التي امتدت للاخلاق التي استندت على الإحساس وان الفرد هو مقياس كل شيء في المحيط، لهذا ستتعدد الحقائق بتعدد الأشخاص واتجاهاتهم. فالاخلاق تبعا لذلك نسبية ومتغيرة، وعوامل تغيرها ترتبط بتغيير الازمان والمكان والأشخاص، لذا بما ان وجود الاخلاق وجود متغير اذا هو شكلي وليس أساسي يمكن التخلص منها.[٧]

اما سقراط واريستيبوس فقرروا في القرن الخامس قبل الميلاد ان اصل ومنشأ الاحكام والمبادئ الأخلاقية يتمثل في الطبيعة الإنسانية التي تتصارع فيها اللذات والرغبات.[٨]

كما توجد مذاهب فلسفية نظرت الى الاخلاق نظرة خاصة فمذهب القوة الذي كان من رواده الفيلسوف الألماني (فردريك نيتشه ١٨٤٤- ١٩٠٠) يرى ان مصدر كل السمات الحسنة للإنسان هو القوة ومن دونها لا يمكن ان يوصف بني البشر باي صفة حسنة والعكس أيضا صحيح فالضعف هو منشأ كل ما هو سيء من الصفات عند الانسان لان الضعيف يعمل الشر سرا ويتظاهر بالفعل الحسن. ودعا الى ابعاد الدين لان العامل الكهنوتي بما فيه من ميتافيزيقيا يجعل الانسان يميل للكسل والخمول والاستكانة. فالأخلاق بحسب رايه هي ملاصقة للقوة ومقترنة بها.[٩]

اما الفيلسوف الإنكليزي (جون ستيوارت ميل ١٨٠٩- ١٨٧٣) فتزعم المذهب التجريبي ليعيد مذهب المنفعة للحياة وجزم ان معيار قيام الاخلاق ونموها ودوامها تحكمه المنفعة كغيره مما يحيط بالإنسان ويسيره فالمنفعة هي الأساس. وخالف هذا الراي أصحاب المدرسة العاطفية الذين قالوا ان منبع الاخلاق وتحديد مسارها هو العاطفة فكل خلق حسن نشا عن عاطفة طيبة تقوم على المحبة وكل خلق سيء قاده واسسه عامل عاطفي سيء يقوم على حب الذات او بغض الاخرين. وكان قد سبقه بنثام (١٧٤٨- ١٨٣٢م) لوضع أسس هذه المدرسة الفلسفية. وسارت على هذا النهج المدرسة البرغماتية[١٠]

اما المدرسة الوضعية ومن روادها اوجست كونت فقد تحولت الاخلاق عندهم الى علم ثابت وواقعي يقوم على البحث العلمي والتحليل والاستقراء واقتربت كثيرا من علم الاجتماع الذي يجب على الاخلاق بحسب مفهومهم ان تتجه الى المشاكل الدينية والاجتماعية. وبذا أصبحت الاخلاق فرعا من فروع علم الاجتماع فكان دور الاخلاق تقوية العاطفة الاجتماعية لكن مفهوم الاخلاق بقى مفهوما نسبيا بحسب نسبية المعرفة. وقد استمر اميل دوركايم (١٨٥٨- ١٩١٧) في ذات مسار كونت فمال الى جعل الاخلاق واحدة من الظواهر الاجتماعية تولد من رحم المجتمع وتنمو فيه متاثرة باعرافه وقوانينه، اما ليفي بريل (١٨٩٧- ١٩٣٩) فقد تبنى هذه الفكرة منتقدا فلسفة الاخلاق ومقترحا علما للاخلاق.[١١]

**العلاقة بين الدين والأخلاق:**

يعد الانسان المخلوق الوحيد في هذا الكون الذي يفهم معنى الاخلاق ويلتزم بها في سلوكياته فيتسامى عن الرذائل والغرائز، اما الحيوانات فتتحكم بها غرائزها وتسيرها الرغبات لتشبع احتياجاتها دون التمييز بين الخير والشر. والكثير من المفكرين يرون ان للدين علاقة مباشرة في تعريف الاخلاق وتنظيمها وتهذيبها على الرغم من مخالفة الكثير من المدارس الفلسفية لربط الاخلاق بالدين لان اغلبهم يعتقد ان للأخلاق مفهوم أوسع من الدين فنيتشه مثلا يزعم ان للديانة المسيحية دور سلبي في كينونة الاخلاق وادعى ان المسيحية قد ولدت روح العبودية في نفوس اتباعها لذا لا يمكن اعتمادها كمقرر

وموجه للأخلاق. وهناك من يدعي ان الدين ينظم العلاقة بين متبعيه فقط دون سواهم بينما الاخلاق تنظم العلائق بين كل البشر رغم تعدد انتماءاتهم الدينية والعقائدية.

في الإسلام هناك تركيز كبير على الاخلاق والتي يعد مصدرها من عند الخالق، وعندما أشاد الله بنبيه محمد (ص) كانت الإشادة بأخلاقه فقال تعالى: "وانك لعلى خلق عظيم"[١٢]. كما ان الإسلام بمصادر تشريعه الأساسية كالقران الكريم والسنة النبوية الشريفة نظمت وبدقة العلاقات الاتية:

- علاقة الانسان بربه.
- علاقة الانسان بالأخرين.
- علاقة الانسان بنفسه.

وبهذا ارتكز الإسلام على منظومة أخلاقية متكاملة متناغمة تخلو من التناقض والتعارض لان مصدرها ليس متغير ومتحرك وانما مصدرها ثابت تمثل بالخالق نفسه على خلاف المصادر الأخرى للأخلاق التي كانت مصادر وضعية تتغير بالأزمان وبتبدل الأماكن. كما ان الاخلاق وفق المنهج الإسلامي تتسم بالعموم والشمولية لذلك تتحقق فيها العدالة فقوله تعالى: "إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"[١٣]

والعلاقة بين الدين والأخلاق علاقة اتصال وليست علاقة انفصال فالأخلاق تدور مع العبادات والمعاملات من حيث الأوامر والنواهي، فالإسلام يكرس الاخلاق الحسنة في أوامره، اما الاخلاق السيئة فينبذها من خلال نواهيه وقوله تعالى: "كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر"[١٤] فأفضلية امة الإسلام تتمثل بالتزامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو الجامع لكل خلق حسن ورافض لكل خلق سيء.

**مبادئ الاخلاق في الفكر الديني اليهودي من خلال الادب التوراتي:**

تمثل التوراة المصدر الأساس في الادب العبري القديم وهي مصدر الفكر اليهودي وقد نظمت التوراة مبادئ الأخلاق بدقة، وربما شاب هذا التنظيم ميل بعض مفكريها الى المزج بين مبادئها وبين المبادئ الفلسفية التي اثرت في العالم حينئذ، فظهر مزيج من الصعب الفصل بين مكوناته ساهم الدين والفلسفة فيه. لاسيما وان المفكرين اليهود قد تأثروا ومالو ميلا واضحا الى الفلسفة اليونانية.

وصاغت الديانة اليهودية مبادئها الأخلاقية بصيغة شرعية قائمة على جملة من النواهي وعدد من الأوامر التي شكلت اللبنة الأساسية لمبادئ الاخلاق في الفكر الديني اليهودي فبدا بني البشر يعرفون

معنى التحريم والاباحة، وراحت الديانة اليهودية تنظم علائق الناس وتهذب الشهوات وتكبح جماح الغرائز المنفلتة فظهرت فكرة الخطيئة التي تستوجب العقاب الذي يتراوح بين طلب المغفرة او تقديم القرابين او حتى إنزال اشد العقوبات بمرتكبها. كما لم تكتف التوراة بالدعوة الى الخير والفضيلة والتحلي بمبادئ الخلق الرفيع بل شرعت العقوبات على الشاذ والمنحرف والساعي الى الشر بل اجازت الثأر قصاصا من خلال مبدا العين بالعين والسن بالسن، وكما دعت الى المحبة دعت في الوقت عينه الى البغض، من خلال بغض الأعداء والانتقام منهم.[١٥]

الفكر الديني اليهودي نظم قضية مبادئ الاخلاق واعطاها اهتمام كبيرا ونجده واضحا في كتابي العهد القديم (التوراة) والتلمود، واللذين سنعرض لملامح معالجتهما لموضوع مبادئ الاخلاق في كل منهما باعتبارهما المصدر الأساس للادب اليهودي القديم على أساس اختيار سفر اللاويين كنموذج للدراسة وما قابل هذا السفر من معالجة في التلمود للموضوع عينه وعلى النحو الاتي:

**مبادئ الاخلاق في الادب التوراتي:**

تضمنت اسفار التوراة الكثير من المضامين التي اشارت الى مبادئ الاخلاق وضرورة الالتزام بمحاسنها والابتعاد عن السيء فيها. الا اننا سنركز دراستنا على سفر اللاويين ومن بين اهم الوصايا التي وردت فيه نذكر الاتي:

١. بر الوالدين وطاعتهما:

من اهم الوصايا التي أوردها سفر الخروج كانت تلك التي تدعوا الى بر الوالدين ووضع السفر تحفيز للبار بوالديه يتمثل بطول العمر عندما قال: "כַּבֵּד אֶת-אָבִיךָ, וְאֶת-אִמֶּךָ--לְמַעַן, יַאֲרִכוּן יָמֶיךָ, עַל הָאֲדָמָה, אֲשֶׁר-יְהוָה אֱלֹהֶיךָ נֹתֵן לָךְ ... أكرم اباك وأمك لكي تطول ايامك على الأرض"[١٦] كما ان سفر اللاويين قد تشارك مع سفر الخروج في الحث على هذا المبدأ فجاء فيه: "אִישׁ אִמּוֹ וְאָבִיו תִּירָאוּ, تهابون كل انسان اباه وأمه"[١٧].

لم يقف الادب التوراتي عند هذا الحد بل وضع عقوبة قاسية لمن يتجاوز هذا المبدأ الأخلاقي ويكون عاقا بوالديه، فقد أكد سفر اللاويين في موضع اخر ان: "כִּי-אִישׁ אִישׁ, אֲשֶׁר יְקַלֵּל אֶת-אָבִיו וְאֶת-אִמּוֹ--מוֹת יוּמָת: אָבִיו וְאִמּוֹ קִלֵּל, דָּמָיו בּוֹ... كل انسان سب اباه او امه فانه يقتل، قد سب اباه وأمه، دمه عليه"[١٨].

وقد ساد في التراث اليهودي ان الابن العاق يرجم من حاخامات المدينة بعد ان يثبت عليه ذلك او يتقدم احد والديه بشكوى عليه، وهذا ما نص عليه سفر التثنية حينما قال: "כִּי כָל-אִישׁ אֲשֶׁר-בּוֹ מוּם, לֹא יִקְרָב: אִישׁ עִוֵּר אוֹ פִסֵּחַ, אוֹ חָרֻם אוֹ שָׂרוּעַ. **יט** אוֹ אִישׁ, אֲשֶׁר-יִהְיֶה בּוֹ שֶׁבֶר רָגֶל, אוֹ, שֶׁבֶר יָד. **כ**אוֹ-גִבֵּן אוֹ-דַק, אוֹ תְּבַלֻּל בְּעֵינוֹ, אוֹ גָרָב אוֹ יַלֶּפֶת, אוֹ מְרוֹחַ אָשֶׁךְ. **כא** כָּל-אִישׁ אֲשֶׁר-בּוֹ מוּם, מִזֶּרַע אַהֲרֹן הַכֹּהֵן--לֹא יִגַּשׁ, לְהַקְרִיב אֶת-אִשֵּׁי יְהוָה: מוּם בּוֹ--אֵת לֶחֶם אֱלֹהָיו, לֹא יִגַּשׁ לְהַקְרִיב .اذا كان لرجل ابن معاند ومتمرد لا يسمع قول ابيه ولا قول امه ويؤدبانه فلا يسمع لهما، يمسكه ابوه وامه ويأتيان به الى شيوخ مدينته، والى باب مكانه، ويقولان لشيوخ مدينته: ابننا هذا معاند ومارد لا يسمع لقولنا وهو مسر وسكير فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت"[١٩].

٢. الدعوة لاحترام الكبير وللرأفة بالضعفاء:

دعا سفر اللاويين وغيره من اسفار العهد القديم الى احترام الكبير والرافة في التعامل مع العجزة والضعفاء فجاء فيه: "מִפְּנֵי שֵׂיבָה תָּקוּם, וְהָדַרְתָּ פְּנֵי זָקֵן; וְיָרֵאתָ מֵאֱלֹהֶיךָ, אֲנִי יְהוָה . من امام الاشيب تقوم وتحترم الشيخ وتخشى الهك"[٢٠] ولم يكتف السفر بهذا بل دعا الى الرافة والرحمة بالضعفاء وذوي الاحتياجات الخاصة فقال: "لا تشتم الاصم، ولا تضع امام الاعمى معثرة بل اخشى الهك"[٢١] فالنص التوراتي يدعو بشكل صريح الى احترام كبار السن والعطف والرافة بالضعفاء من البشر الذين يحتاجون المساعدة.

٣. صدق الحديث والوفاء بالعهود:

ونجد سفر اللاويين يدعو الى اجتناب الكذب والابتعاد عن الغدر والخيانة فجاء في الاصحاح التاسع عشر منه: "לֹא-תְכַחֲשׁוּ וְלֹא-תְשַׁקְּרוּ, אִישׁ בַּעֲמִיתוֹ. ولا تكذبوا ولا تغدروا احدكم بصاحبه"[٢٢] فالنص يصرح بالنهي عن الكذب وضرورة التزام صدق الحديث واجتناب الغدر بالصاحب.

٤. العدالة والمساواة:

اما العدالة في القضاء ومساواة الجميع امام دكة القضاء فقد أوردها سفر اللاويين في هذه الاية منه: "לֹא-תַעֲשׂוּ עָוֶל, בַּמִּשְׁפָּט--לֹא-תִשָּׂא פְנֵי-דָל, וְלֹא תֶהְדַּר פְּנֵי גָדוֹל: בְּצֶדֶק, תִּשְׁפֹּט עֲמִיתֶךָ لا ترتكبوا جورا في القضاء، ولا تأخذوا بوجه مسكين، ولا تحترم وجه كبير"[٢٣] وهذا النص يدعوا الى عدم المحاباة وعدم المجاملة امام القضاء فالكل يمثل امامه مجردا من أمواله ومنصبه وكل شيء لكي تتحقق العدالة ويتحقق الحكم الدقيق القائم على المساواة في التقاضي.

٥. عدم السرقة والخيانة:

كما ان سفر اللاويين ركز على احترام ملكية الغير وعدم التجاوز عليها بالإضافة الى النهي عن الخيانة والغدر ومثلما أوردت هذه الاية:" לֹא, תִּגְנֹבוּ; וְלֹא-תְכַחֲשׁוּ לא تسرقوا ولا تغدروا"[٢٤]

٦. النهي عن الوشاية:

الوشاية هي السعي للوقيعة من خلال الكذب.[٢٥] وقد دعا سفر اللاويين وبعض الاسفار التوراتية الى التصدي للوشاة والنهي عن الوشاية حيث ذكر سفر اللاويين الاتي بهذا الصدد: " לֹא-תֵלֵךְ רָכִיל בְּעַמֶּיךָ .لا تسع في الوشاية بين شعبك"[٢٦] ويعتبر الفكر الديني اليهودي الوشاية مرض خلقي اذا دب بين افراد المجتمع خلخل نظامه وافسده كالسباع القوية اذا دخل بينها الثعلب المراوغ على الرغم من ضعفه الا انه من خلال تلاعبه يقضي عليها ويتسبب بهلاكها.[٢٧]

٧. محبة الخير للآخرين وعدم الحقد والبغضاء:

ومن مبادئ الاخلاق التي نادى بها الادب التوراتي لا سيما سفر اللاويين فنص هذا السفر "לֹא-תִשְׂנָא אֶת-אָחִיךָ, בִּלְבָבֶךָ; וְלֹא-תִשָּׂא עָלָיו חֵטְא... لا تحقد على أبناء شعبك، ولا تحمل عليه حقدا"[٢٨] وهذه من الاخلاق الحسنة التي دعت اليها التوراة في ادبها النثري اما جانب التطبيق فيها فهو محل نظر فالكثير من الوقائع تثبت ان اليهود قد ترجموا هذه الوصايا والمبادئ الا انه يقتصر تطبيقها على اليهود فيما بينهم دون غيرهم. فلا يعطونها صفة العمومية في التطبيق، وحتى هذا التحجيم في تطبيق مبادئ الاخلاق لم يلتزموا به أيضا فالتاريخ اليهودي يروي لنا العديد من الاحداث التي قتل اليهود بعضهم البعض او سادت البغضاء بينهم الامر الذي يدل على عدم الالتزام بالاوامر والنواهي التي تحكم وتنظم مبادئ الاخلاق في الديانة اليهودية.

**مبادئ الاخلاق في التلمود:**

التلمود يشكل الكتاب الثاني والركيزة الثانية في التراث الديني اليهودي، وهو المصدر الثاني للادب النثري ويشكل المرحلة الثانية من مراحل الادب العبري القديم الذي يسمى بمرحلة المشناه والتلمود والذي كان للغة العبرية في هذه المرحلة سمات تختلف عن مرحلة التوراة. ويؤسس التلمود لقواعد أخلاقية غريبة فهي تركز على علوية اليهودي واحتقار غيره. فيتناسى التلمود الفرق بين الأخيار والأشرار من الأغيار، رغم أنه تمييز أساسي في العقيدة اليهودية نفسها فتصل النزعة المتعالية ذروتها في عبارة: "اقتل افضل الأغيار، اسحق رأس أنبل الأفاعي" وقد اقتبس أحد قواد كتيبات الحاخامية العسكرية الاسرائيلية هذه العبارة التلمودية التي أثارت ضجة داخل اسرائيل وتصدى لها بعض اليهود

المعتدلين، بل ان التلمود يطلب أحياناً إلى اليهود أن يستخدموا مقياسين أخلاقيين: أحدهما للتعامل مع اليهود، والآخر للتعامل مع غير اليهود[٢٩]. وقد جاء في التلمود أنه لا يصح أن يباع لليهودي الشيء الذي من الممكن أن يصيبه الفساد والتلف ان تُرك، ولكنه من الممكن أن يباع لغير اليهودي، كما يتجرد التلمود من الرحمة فيحرم على الطبيب أن يعالج مريضاً من غير اليهود إلا لدرء أذى الأغيار.

ليس هذا فقط بل ان التلمود يحرم الجنة والنعيم على غير اليهودي فيدعي ان "الفردوس لليهود والجحيم لباقي الأمم". فيقول التلمود "النعيم مأوى الأرواح الزكية"، كما يأكلون سكان الفردوس – اليهود - لحم طير كبير لذيذ الطعم جداً ولحم أوز سمين. أما شرابهم فهو من أرقى أنواع النبيذ القديم الموغل في القدم حيث عُصِرَّ في اليوم الثاني للخليقة وحفظ لأهل النعيم والفردوس بعد حين[٣٠].

ولا يدخل الجنة غير اليهود وهذه هي أمانيهم قال تعالى: ((وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ))[٣١].

أما الجحيم فهو مأوى الكافرين ولا نصيب لهم فيه سوى الألم والبكاء لما فيه من الظلام والعفونة ويوجد في كل محل منه زيادة على ذلك ستة آلآف صندوق فيه ستة آلآف برميل من الصبر المر. والجحيم أوسع من النعيم ستين مرّة، لأن باقي الأمم من غير اليهود يخلدون في الجحيم[٣٢].

والتلمود خطورته تكمن في عنصريته التي أبعدته كثيرا عن مبادئ الاخلاق لانه يعطي الحرمة لليهودي لذا فقد نص التلمود على ما يأتي "محرم على اليهودي أن ينجي أحداً من الأمميين من الهلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها، بل إذا رأى أحد الأمميين يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر". وقال الرابي ميموند "الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودي، فإذا رأيته واقعاً في نهر أو مهدداً في خطر فيحرم عليك أيها اليهودي أن تنقذه، لأن السكان اللذين كانوا في ارض كنعان، وقضت التوراة بقتلهم جميعاً لم يقتلوا عن آخرهم، بل هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض. ولذلك يلزم قتل غير اليهودي لاحتمال أن يكون من هؤلاء الهاربين" كما ينص التلمود على أن من العدل أن يقتل اليهودي كل أممي لأنه بذلك يقرب قرباناً إلى الله[٣٣].

فلا يعتبر التلمود قتل غير اليهودي جريمة بل فعل يرضي الخالق، فقد جاء فيه "ان لحم الأمميين لحم حمير، ونطفتهم نطفة حيوانات غير ناطقة ولذلك أمرنا بإهلاك من كان غير يهودي" وإذا قصد يهودي قتل حيوان فقتل خطئاً إنسان، أو أراد قتل وثني أو أجنبي فقتل يهودياً فخطيئته مغفورة، ملاحظة للقصد والنية. على أنه من المعلوم المقرر ان قتل اليهودي من الجرائم التي لا تغتفر فقتل الأجنبي من الفضائل حتى انهم يسامحون القاتل في هذه الحالة ويفسر التلمود (الوثني) حيناً بأنه غير يهودي وآخر بأنه

المسيحي حيث جاء في التلمود على لسان الرابي اليعازر "ان الكفار هم يسوع المسيح ومن اتبعه"، بينما يقول الرابي يهوذكيا "ان هذه اللفظة تشمل الوثنيين على العموم، ولتبرير التناقض بين التوراة التي تقول لا تقتل والتلمود الذي يدعو إلى القتل فيقول الرابي ميموند "انه تعالى نهى عن قتل شخص من بني اسرائيل" وامعاناً في تكريس النظرة العنصرية ضد الأغيار يقول الرابي ميموند "يصفح عن الأممي إذا جدف على الله تعالى، أو قتل غير اسرائيلي أو زنا بامرأة غير يهودية ثم تهود، لكنه لا يصفح عنه، إذا قتل يهودياً أو زنا بامرأة يهودية ثم صار يهودياً " [٣٤].

وكما ان التلمود لم يحترم روح عير اليهودي فهو أيضا لم يحترم ملكيته فلم يعطي للنزاع حول الملكية بين اليهودي وغيره أية قيمة، وذلك لأن مال الأجنبي ودمه من ممتلكات اليهود ولهم حق التصرف المطلق فيها[٣٥]. ولذلك فإن لليهودي الحق في استرجاع تلك الأموال فإذا دعي يهودي لحلف يمين مختصة بشيء متنازع عليه فله ان يرفض، ذلك لأنه لا محل لليمين في هذه الحالة وإذا خاف سلطة شخص أو ضرراً يصل إليه من عدم تأدية اليمين، فعليه أن يحلف بما يريدون، غير أنه من المفروض أن يعتقد ضمناً أن الأموال التي حصل بخصوصها اليمين هي في الحقيقة عائدة إليه وله الحق في استرجاعها[٣٦].

وكذلك عرض غير اليهودي هو مباح لليهود بحسب التلمود الذي اباح الزنا على الرغم من دعوة التوراة إلى احترام المرأة وتجريم الزنا، لا تشته امرأة قريبك. فمن يزني بامرأة قريبة يستحق الموت לֹא-תַחְמֹד אֵשֶׁת רֵעֶךָ. [٣٧]. ولكن التلمود يبيح الزنا بحجة أن تحريم الزنا الوارد في التوراة هو لامرأة القريب والقريب هو اليهودي دون غيره لذلك فالزنا باليهودية حرام أما الزنا بغير اليهودية فمباح لليهودي واستنتج من ذلك الرباني "راشي" أن اليهودي لا يخطئ اذا تعدى على عرض الأجنبي لأن كل عقد نكاح عند الأجانب باطل أو فاسد، لأن المرأة التي لم تكن من نساء بني اسرائيل بمثابة "بهيمة" والعقد لا يجوز مع البهائم وما شاكلها. وقد أيد هذا الرأي الحاخامات اليهود أمثال (بشاي، ليفي، جرسون) فلا يرتكب اليهودي محرماً إذا أتى امرأة من غير اليهود فقال ((مينامور)): أن لليهود الحق في اغتصاب النساء غير المؤمنات أي غير اليهوديات. وقال حكمائهم: أن الزنا بغير اليهودي ذكوراً كانوا أو إناثاً لا عقاب عليه لأن الأجانب هم من نسل الحيوانات"[٣٨].

من كل هذا نجد ان التلمود قد انحرف بمبادئ الاخلاق انحرافا كبيرا أدى الى ادانة هذا الكتاب بالتشدد والعنصرية وكونه كتاب لا أخلاقي تسبب بمنعه من التداول في الكثير من البلدان لحماية مجتمعاتها من مضامينه الهدامة.

**الخاتمة والاستنتاجات:**

بعد تعريفنا بالاخلاق ومبادئها ومعرفة علاقتها مع الفلسفة وكذلك مع الدين، توصل البحث الى جملة من الاستنتاجات المهمة التي نعرضها في ادناه:

١. شكلت الاخلاق منظومة ضخمة ومتكاملة تشتمل على الصفات الطبيعية التي خلق الانسان بها، وكذلك تضم كل السمات التي اكتسبها الشخص في حياته نتيجة اختلاطه بمجتمعه واحتكاكه بأفراده، وهذه المنظومة كلها تنقسم الى ما هو نفسي باطني والى ما هو سلوكي وظاهري.
٢. يصطلح على علم الاخلاق بـ(Ethics) وهو العلم الذي يتولى دراسة نظام السلوك البشري بحسب معايير الخير والشر. وهو المحدد لما يجب ان تكون عليه تصرفات الانسان وفق قواعد الخير والشر بتبيان الغايات من الأفعال التي تصدر عن وعي وإدراك وقصد.
٣. للفلسفة والفلاسفة مذاهب شتى في التعريف بالأخلاق وبيان منشأها فالفلاسفة اليونانية لهم راي فيها مختلف عن الفلاسفة المحدثين.
٤. علاقة الاخلاق بالدين علاقة مباشرة من حيث التنظيم والتهذيب وعلى الرغم من مخالفة الكثير من المدارس الفلسفية لربط الاخلاق بالدين لان اغلبهم يعتقد ان للأخلاق مفهوم أوسع من الدين وان الدين ينظم العلاقة بين متبعيه فقط دون سواهم بينما الاخلاق تنظم العلائق بين كل البشر رغم تعدد انتماءاتهم الدينية والعقائدية، الا ان الفلسفة والدين يسعيان للهدف ذاته من حيث سيادة الخير وانحسار الشر.
٥. الديانة اليهودية اهتمت بقضية الاخلاق وادخلتها في منظومتها العقائدية، فالفكر الديني اليهودي شرعنها واعطاها اهتماما كبيرا ونجده واضحا في كتابي العهد القديم (التوراة) والتلمود وهما أساس اليهودية.
٦. تضمنت التوراة التي تشكل النواة الأولى للادب النثري العبري القديم عموما وسفر اللاويين بشكل خاص الكثير من الايات التي ركزت على الاخلاق من حيث الدعوة الى بر الوالدين ومحبة الخير للاخرين واجتناب النميمة وغيرها من المبادئ الأخلاقية الحميدة.
٧. مثل التلمود وهو المرحلة الثانية من الادب العبري القديم انحرافا كبيرا وملحوظا في مجال التعاطي مع مبادئ الاخلاق في الفكر الديني اليهودي، حيث حرف النص التوراتي العام وابعده عن مقاصده وعمل على تحجيمه بان جعل الفئة المستهدفة منه هم اليهود دون غيرهم من اتباع الديانات الأخرى كما ضم في بعض نصوصه أوامر صريحة باتباع الاخلاق السيئة والافعال الشريرة مع متبعي الديانات الأخرى.

**المصادر والمراجع بحسب ورودها في البحث:**

المصادر العربية:

١. القران الكريم
٢. العهد القديم
٣. القاموس المحيط
٤. السيد أبو ضيف المدني، الاخلاق في الأديان السماوية، القاهرة ١٩٨٨
٥. مصطفى عبده، فلسفة الاخلاق، القاهرة ١٩٩٩
٦. احمد امين، كتاب الاخلاق، القاهرة ١٩٥٨
٧. ليون جوتييه، مدخل لدراسة الفلسفة، ترجمة محمد يوسف، القاهرة ١٩٤٥
٨. د. توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية نشاتها وتطورها، دار النهضة العربية ١٩٧٩
٩. يحيى مصباح، فلسفة الاخلاق، دراسة مقارنة بين المذاهب الأخلاقية، ترجمة محمد حسن زراقط، الجزائر ٢٠٠٢
١٠. فريدريك نيتشه، اصل الاخلاق وفصلها، ترجمة حسن قبيسي، بيروت ١٩٧٧
١١. د. مصطفى حلمي، الاخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤
١٢. احمد ملهم قطان، الاخلاق بين الديانات السماوية، دمشق ٢٠١٠
١٣. عماد علي عبد السميع، الإسلام واليهودية، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤
١٤. كتاب التلمود
١٥. معدي، الحسيني الحسيني، التلمود أسرار وحقائق، دمشق ٢٠٠٦.
١٦. د. احمد شلبي، مقارنة الأديان – اليهودية-، القاهرة ١٩٧٤.
١٧. د. محمد عبد الله الشرقاوي، الكنز المرصود في فضائح التلمود، القاهرة ٢٠٠١.
١٨. ممدوح الزوبي، القتل عقيدة يهوه واتباعه، دمشق ٢٠٠٠

**المصادر الأجنبية:**

١. The New Merriam- Webster Dictionary , librairie du liban, 1993
٢. תורת נביאים וכתובים

**الهوامش والاحالات:**

[١] . انظر القاموس المحيط ٣/ ٢٢٢ مادة خلق.

[٢] . السيد أبو ضيف المدني، الاخلاق في الأديان السماوية، القاهرة ١٩٨٨، ص ١٩

[٣] . مصطفى عبده، فلسفة الاخلاق، القاهرة ١٩٩٩، ص ١٦

[٤]. The New Merriam- Webster Dictionary , librairie du liban, 1993, P. 259

[٥] . احمد امين، كتاب الاخلاق، القاهرة ١٩٥٨، ص ٣

[٦] . ليون جوتييه، مدخل لدراسة الفلسفة، ترجمة محمد يوسف، القاهرة ١٩٤٥، ص ٨٠

[٧] . د. توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية نشاتها وتطورها، دار النهضة العربية ١٩٧٩، ص ٢٣

[٨] . يحيى مصباح، فلسفة الاخلاق، دراسة مقارنة بين المذاهب الأخلاقية، ترجمة محمد حسن زراقط، الجزائر ٢٠٠٢، ص ٤٤

[٩] . فريدريك نيتشه، اصل الاخلاق وفصلها، ترجمة حسن قبيسي، بيروت ١٩٧٧، ص ٢٠

[١٠] . مصطفى عبده، المصدر السابق، ص ٧٣

[١١] . د. مصطفى حلمي، الاخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤، ص ٧٧

[١٢] . سورة القلم: ...

[١٣] . سورة النحل: ٩٠

[١٤] . سورة ال عمران: ١١٠

[١٥] . احمد ملهم قطان، الاخلاق بين الديانات اليسماوية، دمشق ٢٠١٠، ص ٧

[١٦] . الخروج ٢٠: 1١

[١٧] . اللاويين ١٩: ٣

[١٨] . اللاويين ٢٠: ٩

[١٩] . اللاويين ٢١: ١٨- ٢١

[٢٠] . اللاويين ١٩: ٣٢

[٢١] . اللاويين ١٩: ١٤

[٢٢] . اللاويين ١٩: ١١

[٢٣] . اللاويين ١٩: ١٥

[٢٤] . سفر اللاويين ١٩: ١١

[٢٥] . القاموس المحيط ٤/ ٣٩٢ مادة وشى

[٢٦] . اللاويين ١٩: ١٦

[٢٧] . عماد علي عبد السميع، الإسلام واليهودية، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤، ص ١٤٢

[٢٨] . اللاويين ١٩: ١٧- ١٨

[٢٩]) الباب الأوسط ٩٥ أ، الباب الأول ١١٣ أ.

[٣٠]) السنهدرين ص٨.

[٣١]) البقرة – الآية ١١١.

[٣٢]) معدي، الحسيني الحسيني، المصدر السابق. ص٩٨.

[٣٣] ) د. شلبي، أحمد، المصدر السابق، ص٢٧٠.

[٣٤] ) د. الشرقاوي. المصدر السابق، ص٩٢.

[٣٥] ) الزوبي، ممدوح. المصدر السابق. ص٣٦.

[٣٦] ) معدي، الحسيني الحسيني، المصدر السابق، ص٤٢٤.

[٣٧]) سفر الخروج ٢٠: ١٧

[٣٨]) معدي، الحسيني الحسيني، المصدر السابق، ص١٥٥.